﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ١٢١﴾ [الأنعام: 121]

❁ مُنَاسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

تأكيدُ الأمرِ بأكلِ ما ذُكرَ اسمُ الله عليه بالنَّهي عن ضدِّه

لَمَّا أمرَ الحقُّ ﷻ أنْ يأكلوا ممّا سُمّيَ عليهِ، ومفهومُهُ أن لا تأكلوا ممّا لمْ يذكرِ اسمُ اللّهِ عليهِ؛ أردفهُ بِنَهْيِهِمْ نهيًا جازمًا عنْ أكلِ ما يضرُّهمْ في أبدانِهمْ وأخلاقِهمْ لكونِه فسقًا؛ فإنّهُ يُضادُّ الأوّلَ في أنّهُ خالٍ عنِ الاسمِ الشّريفِ الموصوفِ بالجلالِ والكمالِ[1]، فالمناسبةُ من بابِ تأكيدِ الأمرِ بأكلِ ما ذُكِرَ اسمُ اللّه عليه بالنَّهي عن ضدِّه.

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿لَفِسۡقٞۗ﴾: اسمٌ ثُلَاثِيٌّ جذرُه اللّغويُّ (فسق)، ومعنى الفسقِ: أنْ يَتركَ المرءُ أمرَ الحقِّ ﷻ، ويميلَ إلى معصيتِه، والفِسقُ مأخوذٌ منْ خروجِ الرّطبةِ عنْ قشرِها، فشبّهَ الخروجَ عنِ الطّاعةِ بذلكَ، وإذا خرجَ الإنسانُ عنْ حيّزِ الشّرعِ سُمّيَ فاسقًا، وهو أعمُّ منَ الكفرِ وعدمِ الإيمانِ، "وأكثرُ ما يقالُ الفاسقُ لمنِ التزمَ حكمَ الشّرعِ وأقرَّ بهِ، ثمَّ أخلَّ بجميعِ أحكامِه أوْ ببعضِه"، والفسوقُ الشرعيُّ خروجُ المسلمِ عنِ الطّاعةِ المتمثّلةِ بامتثالِ الأوامرِ واجتنابِ المَنهياتِ، وكلُّ ما كانَ خروجًا عنْ غلافِهِ وحدِّهِ أوْ حيّزِهِ الذي يلمُّ شتاتَهُ بسببِ حدةٍ أوْ فسادٍ يُسمّى فسقًا[2]، ومعنى الفسقِ في الآيةِ: هو المطعومُ الذي لمْ يذكرِ اسمُ اللّهِ عليهِ، وأنّهُ قدْ أُهلَّ بهِ لغيرِ اللّهِ[3] ﷻ.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 7/245.

(2) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (فسق).

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/325.

2) ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾: جمعُ شيطان وهو معروفٌ، وزنهُ (فَيْعال)، والجذرُ اللّغويُّ منهُ (شطن)، وقسمٌ منَ اللّغويين جعلَه منْ (شيط)، والفعلُ منَ الأوّلِ شَطنَ، وهو بمعنى البُعدِ والنأي "وشطنتِ الدّارُ شطونًا: إذا بعُدتْ"، والأصلُ في الشّينِ والطّاءِ والنّونِ دلالتُها على البُعدِ كقولهمْ: بئرٌ شَطونٌ، أيْ: بعيدةُ القعرِ، ولفظةُ الشّيطانِ جاءتْ على هذا الأصلِ، سُمّي كذلكَ بسببِ ابتعادهِ عنِ الحقِّ؛ فكلُّ منْ كانَ هذا وصفَهُ منَ الجنِّ والإنسِ وغيرهِ فهو شيطانٌ، فهو اسمٌ يشملُ كلَّ عارمٍ عاتٍ متمرّدٍ منْ هذهِ المخلوقاتِ[1]، ومعنى الشّياطينِ في الآيةِ على ثلاثةِ أقوالٍ: الأوّلُ أنّهم قومٌ منْ أهلِ فَارِسَ، والثّاني الشّياطينُ منْ قريشٍ، والثّالثُ منَ اليهودِ[2].

3) ﴿لَيُوحُونَ﴾: فعلٌ دالٌّ على الحالِ والاستقبالِ مسندٌ إلى الجَمَاعَةِ، الجذرُ اللّغويُّ منهُ (وحي)، والوحيُ الرّسالةُ والكلامُ الخفيّ، وما تُلقيه إلى غيركَ يُسمّى وحيًا، والأصلُ في الواوِ والحاءِ والياءِ أن "يدلّ على إلقاءِ علمٍ في إخفاءٍ أوْ غيرهِ إلى غيركَ"، ومنْ معانيهِ: الإشارةُ السريعةُ، ويكونُ بالكلامِ رمزًا وتعريضًا، وقدْ يكونُ بمعنى إيصالِ المعنى بطريقِ الوسوسةِ[3]، وهو المعنى الواردُ في الآيةِ؛ فإنّهمْ يُوسوسونَ لبني آدمَ لإلقاءِ الجدالِ بالباطلِ في قلوبهمْ[4].

4) ﴿أَوْلِيَآئِهِمْ﴾: جمعٌ مكسرٌ مفردُه (وليٌّ)، وهو صيغةُ مبالغةٍ، جذرُهُ اللّغويُّ منْ (ولي)، وهو بياءَينِ (وَلِيي) الأولى ياءُ الوزنِ، والثّانيةُ ياءُ الأصلِ، ثمَّ أُدغمتا فصارَ (وليٌّ)، ومصدرهُ الولاءُ منْ "واليتُ بينَ الشيئينِ موالاةً وولاءً ... والوِلايةُ الإمارةُ والوليُّ خلافُ العدوِّ"، والأصلُ في معناهُ دلالتُهُ على القُربِ وعلى اللّزومِ معَ شيءٍ منَ الاشتمالِ وعدمِ الانفكاكِ، وكذا الوليُّ لا ينفكُّ عنْ مولاهُ، والوَلايةُ بمعنى النُّصرةِ، وجعلَ الحقُّ ﷻ الموالاةَ بينَ الكافرينَ والشّياطينِ في الدنيا، ونفاها عنهمْ في الآخرةِ[5]، أيْ: ينصرُ بعضُهمْ بعضًا في الدّنيا، ويتركُ بعضُهمْ بعضًا في الآخرةِ، ومعنى الأولياءِ في الآيةِ،

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (شطن).
(2) الماوردي، النكت والعيون: 2/162.
(3) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (وحي).
(4) الهروي، الغريبَين: 6/1979.
(5) ابن دريد، جمهرة اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (ولي).

أي: أولياءُ الشّياطينِ منَ الإنسِ منْ أهلِ مكّةَ الذينَ كانوا يُجادلونَ الرسولَ ﷺ في أكلِ المَيتةِ[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

نهيٌ منَ الحقِّ ﷻ موجَّهٌ إلى المؤمنينَ ألّا يلتفتُوا إلى مسالكِ أهلِ الضّلالِ والأهواءِ الباطلةِ في أكلِ ما لمْ يكنْ مُقترنًا باسمِهِ الشّريفِ؛ لأنّهُ فسقٌ محضٌ فإنَّ الشّياطينَ يُوسوسونَ إلى أوليائِهمْ منَ المشركينَ بالشُّبهاتِ؛ ليجادلوا المؤمنينَ بالباطلِ، فإنْ أطعتموهمْ - أيُّها المؤمنون - فيما حرّمَ اللّهُ عليكمْ واستحللتُمْ ذلكَ، فإنّكمْ إذنْ مثلُهمْ في الإشراكِ.

من أطاع المشركين في معصيةِ الله وقعَ في دائرتهم وانتحلَ ملّتَهم

وترشدُ الآيةُ الكريمة إلى أنَّ ما يقعُ في قلوبِ بعضِ الناسِ منَ الإلهاماتِ والكُشوفِ، التي يكثرُ وقوعُها عند الصّوفيّةِ ونحوِهم، لا تدلُّ - بمجردِها - على أنّها حقٌّ، ولا تُصدَّقُ حتى تُعرضَ على كتابِ اللّهِ وسنّةِ رسولِه ﷺ[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

معنى الواو في قولِه تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ﴾:

الواوُ في قولِه تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ عاطفةٌ[3]، عطفتْ هذه الجملةَ على قولِه تعالى قبلَها بآيتين: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾؛ فقد أمرهُم أن يأكلوا ممّا ذُكرَ اسمُ اللّهِ عليه، وهنا أكّدَ ذلك الأمرَ بأن نهاهُم عن نقيضِه ببيانِ علّتِه بكونِه فسقًا محْضًا.

عطفُ النّهيِ في مجانبةِ أكلِ غيرِ المُسمّى على الأمرِ فيه يقومُ مقامَ التّوكيدِ

فائدةُ عطفِ ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ﴾ على قولِه: ﴿فَكُلُواْ﴾:

قد يسألُ سائلٌ فيقولُ: لمّا كانَ قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ

(1) الحدّاد، التفسير الكبير: 3/81.
(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 271.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/أ38.

يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ معطوفًا على قولِه تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ فأيُّ فائدةٍ تُتحصّلُ منْ هذا العطفِ، والأوّلُ يفيدُ هذا المعنى ويُحقّقُهُ؟

الأمْـرُ بـالأكـلِ شرطُه الإيمانُ، والنَّهيُ عنه علَّتُه تـركُ خُـطـواتِ المشركين

والجوابُ عنْ ذلكَ: أنَّ هذه الآيةَ تفيدُ النّهيَ المقرونَ بالتّحذيرِ منْ أكلِ ما ذُكِرَ اسمُ غيرِ اللّهِ عليهِ؛ فيكونُ ذبحًا لغيرِ اللّهِ[1]، فإنّهمْ كانوا يفعلونَ ذلكَ بأنْ يذكروا اسمَ المقصودِ بالذبيحةِ ويَجهرونَ باسمِهِ.

ثمَّ إنَّ الآيةَ الآمرةَ بالأكلِ ممَّا ذُكر اسمُ اللّه عليه، ذكرت شرطَ ذلك وهو الإيمانُ بآيات اللّه، والآيةُ النَّاهية عن أكلِ ما لم يُذكر اسمُ اللّه ذكرت حُكمَ ذلك وهو الفِسقُ، وما يتبعُ ذلك من إيحاء الشَّياطين إلى أوليائِهم لمجادلة المؤمنين، فالآيةُ الأولى قامت مقامَ التَّأسيس، والثَّانيةُ قامت مقامَ التَّأكيد والتَّوضيحِ والتَّبيينِ لخطورة هذا الأمرِ، فهو ليس مجرَّدَ أكلٍ، بل هو أخطرُ من ذلك ممَّا يَستتبعه من متابعةِ المشركين في عقائدهم، فإنَّ الأكلَ عنوانٌ للأمَّة في ذاته وطريقتِه ومقاصدِه.

سِرُّ النَّفي بقولِه: ﴿لَمْ يُذْكَرِ﴾ دونَ غيرِه منَ التّعبيراتِ:

ليسَ المقصودُ الذكرَ أو عدمَهُ بـلْ أن يـكـونَ الـذّبـحُ مُـقـترِنًـا باسمِهِ تعالى لا سواهُ

التّعبيرُ بالنّفي في قولِه: ﴿لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ منْ دونِ أنْ يقولَ مثلًا: (غيرُ اسمِ اللّهِ عليهِ) معَ أنّهُ المقصودُ عينًا منَ النهي، فليسَ المقصودُ الذكرَ أو عدمَهُ بلْ أن يكونَ الذبحُ مُقترنًا باسمِ اللّهِ تعالى لا سواهُ، ثمَّ إنَّ قولَهمْ: (غيرُ اسمِ اللّهِ عليهِ) يحتملُ إباحةَ أكلِ ما لمْ يذكرْ عليهِ اسمٌ أصلاً؛ لأنّه لمْ يذكرْ اسمُ غيرِ اللّهِ عليهِ فلْيُتأمّلْ.

ومعنى قولِه: ﴿لَمْ يُذْكَرِ﴾ منْ دونِ أنْ يقولَ: (غيرُ اسمِ اللّهِ عليهِ) أنّ تركَ ذكرِ الاسمِ الشريفِ عليهِ هو أمرٌ مقصودٌ؛ لتجنّبِ الذّكرِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/أ39.

مبدأً، وفي ذلكَ تحايلٌ منَ المشركينَ "بِأَنْ يَسْأَلُوهُمْ تَرْكَ التَّسْمِيَةِ، بِحَيْثُ لَا يُسَمُّونَ اللَّهَ وَلَا يُسَمُّونَ لِلْأَصْنَامِ"[1]، وهو مخادعةٌ، القصدُ منها التّمويهُ على المسلمينَ، وغايتُها أنْ لا يكونَ الذّبحُ للّهِ بترك التّسميةِ أصلًا.

ترْكُ ذكرِ اللهِ وذكرُ غيرِه تحايلٌ وتمويهٌ قصدُه ألَّا يكونَ ذبحًا للهِ

نوعُ الواوِ في قولِه تعالَى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ﴾:

الواوُ في قولِه تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ﴾ إمَّا أن تكون للعطفِ من بابِ عطفِ الخبر على الإنشاءِ، فتكونَ عاطفةً قولَه تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ﴾ على قولِه تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ﴾، وفي جوازِ ذلك خلافٌ معهودٌ بين البلاغيِّين[2].

الواوُ تحتملُ العطفَ والحالَ والاستئنافَ والتَّعليلَ

وإمَّا أن تكون للحالِ[3]، أي: لا تأكلوا منه حالَ كونِه فسقًا، ولمّا كانَ الفسقُ مجملًا وجبَ تبيينُه فبُيّنَ بقولِه تعالى: ﴿أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ﴾ [الأنعام: 145] فصارَ المعنى نهيَهُم عن أكلِه في الحالِ التي يكونُ قد أُهلّ لغيرِ اللّهِ به[4].

وإمَّا أن تكونَ استئنافيةً؛ "فإنّ الفسقَ ما أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّه، والضّميرُ لـ (مَا)، ويجوزُ أن يكونَ للأكلِ المدلولِ عليه بـ ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ﴾"[5]؛ لأنّ الواقعَ في الأمرِ والنّهي أن يكونَ على التّقديرِ والتّقريبِ، أي: نهاهُم عن أكلِه إن كانَ فسقًا؛ فلا يحسنُ التّعبيرُ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ﴾ فالجُمْلَةُ مستأنفةٌ[6].

وإمَّا أن تكونَ تعليليةً، فالقاعدةُ أن تكونَ هذهِ الجملةُ مفصولةً عن سابقتِها بانتفاءِ حرفِ العطفِ إلا أنَّ الحرفَ جاءَ للعلّةِ؛ لأنّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/39.
(2) السبكي، عروس الأفراح: 1/496.
(3) النسفي، مدارك التنزيل: 1/534، والطيبي، فتوح الغيب: 6/230.
(4) الخازن، لباب التأويل: 2/152، والقاسمي، محاسن التأويل: 4/478.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/180.
(6) الآلوسي، روح المعاني: 4/261.

ذكرَ الوصفِ بعدَ الحُكمِ يُومئُ بأنّه علّةٌ للحُكمِ؛ فجاءَ بحرفِ العطفِ لإفادةِ تعليلِ الحُكمِ[1].

بلاغةُ التّوكيدِ في قولِه تعالَى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ﴾:

قولُه تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ﴾ جملةٌ اسميةٌ مؤكَّدةٌ بغيرِ مؤكِّدٍ واحدٍ كإنَّ واللّام، وبلاغةُ التّوكيدِ هنا تَنبني على أنَّه لَمّا كانَ المرادُ بالفسقِ هنا أنْ يُهَلَّ لغيرِ اللّهِ بهِ؛ فإنَّ التّأكيدَ يكونُ مناسبًا ومتوفّرًا على بلاغةٍ لا تخفى، والمقصدُ أنّهُ نهاهمْ عنِ الأكلِ منْ هذا النّوعِ مِنَ الفسقِ المتحقِّقِ الوقوعِ معَ إنكارِ المشركينَ له[2].

تبيينُ الفسقِ بالإهلالِ لغيرِ اللهِ تعالى يلائمُه التّوكيدُ

تعيينُ مرجعِ الضّميرِ في قولِه تعالَى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ﴾:

تحتملُ مرجعيةُ الضّميرِ (الهاء) في قولِه تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ﴾ أنْ تكونَ راجعةً إلى المصدرِ الذي تضمّنه الفعلُ الدّاخلُ عليه النّهيُ ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ﴾ على تقديرِ: "أكلُكمْ ما لمْ يذكرِ اسمُ اللّهِ عليهِ فسقٌ؛ أَيْ: كُفر، وكنّى عنِ الأكلِ"[3] يعني: وإنّ الأكلَ منهُ لفسقٌ.

يحتملُ عودُ الضّميرِ على الأكلِ أو الموصولِ أو على ترك الذّكرِ

ويحتملُ الضّميرُ (الهاء) أنْ يكونَ عائدًا على الموصولِ (ما) في قولِه: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا﴾ فيكونَ على تقديرِ محذوفٍ، والمعنى: وإنّ أكلَه لفسقٌ[4].

ويحتملُ الضّميرُ (الهاء) أنْ يكونَ عائدًا على تركِ الذّكرِ المضمَّنِ في قولِه: ﴿لَمۡ يُذۡكَرِ﴾[5] وجعلُهُ قسمًا أقوى؛ لكونِه أقربَ المذكوراتِ منَ الضّميرِ[6] كما تقتضيه الصّناعةُ النّحويّةُ.

سرُّ التّعبيرِ بمفردةِ ﴿لَفِسۡقٞۗ﴾ ومجيئِها مصدرًا:

عبَّر بالمصدرِ (فسق) دون (إثم) في قولِه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ﴾ على "جعلِ

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/187، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/633.
(2) السيوطي، نواهد الأبكار: 3/382، والآلوسي، روح المعاني: 4/561.
(3) الفراء، معاني القرآن: 1/352، وابن عطية، المحرر الوجيز: 2/340.
(4) الزمخشري، الكشاف: 2/61.
(5) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/340.
(6) الخفاجي، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: 4/119.

ما لم يذكرِ اسمُ اللّهِ عليه في نفسهِ فسقاً"[1]، فهو من بابِ المبالغةِ في وصفِ الفعلِ، حتّى تجاوزَ الفسقُ الفعلَ إلى أن تحوّلَ إلى صفةِ المفعولِ؛ فهو مصدرٌ يرادُ به المفعولُ كإرادتهم المخلوقَ بقولِهم الخلقَ[2]؛ فصارَ في معنى قولِه تعالى: ﴿أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ﴾ [الأنعام: 145].

التّعبيرُ بالمصدرِ وإرادةُ المفعولِ مبالغةٌ في وصفِ الفعلِ

معنى الواوِ في قولِه تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ﴾:

الواوُ في قولِه تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ﴾ عطفتِ الجملةَ على قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ﴾، والمعنى: عطفَ التّحذيرَ من إيحاءِ الشّياطين إلى أوليائهم للمجادلة، على حُكمِ الأكل ممَّا لم يُذكر اسمُ اللّه عليه، فهو من باب عطفِ الإخبار بالوسيلة المُوصلةِ إلى الفسق، وهي مجادلةُ أولياء الشّياطين للمشركين[3].

الـواوُ تُـفـيـدُ الـعـطـفَ على معنى الـحـذرِ منْ جدلِ أولياءِ الـشّـيـاطـينِ المذكورينَ في آيةٍ سابقةٍ

غرضُ التّوكيدِ في قولِه تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾:

تضمّنَ قولُه تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾ غيرَ مؤكّدٍ واحدٍ، وهو (إنَّ) الدّاخلةُ على المسنَدِ إليه، واللّامُ الدّاخلةُ على المسنَدِ؛ وذلكَ للدّلالةِ على أنَّ فعلَ الإيحاءِ مُتَلَبِّسٌ بهمْ، وأنّهمْ ثابتونَ مُستقرّونَ عليه.

الـدّلالـةُ على تـلـبّـسِـهـم بـالإيـحـاءِ لأولـيـائِـهـم وثباتِهم عليه

معنى التّعريفِ في لفظة ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾:

الألفُ واللّامُ في لفظةِ: ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ قد تكونُ جنسيةً لتشملَ جميعَ الشّياطينِ منَ الإنس والجنِّ في تحذيرٍ لبني آدمَ من وسوستِهم، وقد تكونُ عهديةً وهي "هاهنَا إبليسُ وَجنودُهُ وَسْوَسُوا إلى أَوليائِهِمْ منَ المشركينَ ليُجادِلوا محمّدًا صلّى اللّهُ عليهِ وآلِه وسلّم وأصحابَهُ في أَكلِ المَيتَةِ"[4].

الألفُ واللّامُ بينَ الجنسِ والعهدِ

(1) الطيبي، فتوح الغيب: 6/228، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 13/131.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/أ41.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/أ42.
(4) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 13/132.

دلالةُ جمعِ ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾:

هـم مـردةُ المجوسِ أو شياطينُ قريشٍ أو قومٌ منَ اليهودِ

دلَّ جمعُ ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ على تنوُّعِ أساليبِ الشَّياطين ووسائلِهم في الإغواءِ، وأنَّه إن لم يؤثِّرْ أسلوبٌ سلكوا آخر، وقد ذكر جمعٌ منَ المفسِّرين أنَّ المراد بهم مردةُ المجوسِ، أو شياطينُ قريشٍ، أو هم قومٌ منَ اليهودِ[1]، فناسبَ ذلك كلَّه التّعبيرُ بالجمعِ.

سرُّ استعمالِ (الإيحاءِ) دونَ مُرادِفاتِه:

الإيحاءُ يدلُّ على سُرعةِ الإلقاءِ في القلبِ وخفائِه

الإيحاءُ في قولِه: ﴿لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ هو القذفُ في القلبِ لسُرعةِ قذفِه ووقوعِه فيه، وكذا تسميتُه الإلهامَ وحيًا فهو سريعُ الوقوعِ في القلبِ[2]، ويشتمل الإيحاءُ على معنى الخفاء، فالإيحاءُ فيه خفاءٌ وسرعةٌ، وهذا يدلُّ على تمكُّنٍ منَ التَّأثير، ففيه مزيدُ تحذيرٍ من مجادلتِهم، فإنَّ المؤمن يَتَحَرَّى الصِّدقَ والحقَّ فلا يعجلُ بالقولِ، بل يكونُ على مَهلٍ وبوضوحٍ، وقد يكونُ الأمرُ السَّريعُ الخفيُّ أشدَّ تأثيرًا في النَّاس منَ البطيءِ الواضح؛ فلذلك وجبَ اتِّخاذُ مزيدِ حذرٍ ويقظةٍ.

نكتةُ التَّعبيرِ بالفعلِ المضارعِ في: ﴿لَيُوحُونَ﴾:

الشَّياطينُ لا يَملُّون منَ الإيحاءِ المستمرِّ إلى قيامِ السَّاعة

عبّرَ بالفعلِ المضارعِ الدّالِّ على الحالِ والاستقبالِ ﴿لَيُوحُونَ﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ في إشارةٍ إلى أنّ إيحاءَهم دائمٌ ووسوستَهم مستمرّةٌ، وأنّ وقوعَه متجدّدٌ ساعةً فساعةً وحالًا فحالًا، وأنّ هذا الحكمَ جارٍ في كلّ زمانٍ، وهو دأبُ إبليسَ إلى قيامِ الساعةِ؛ لقولِه تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: 16 - 17].

(1) الماوردي، النكت والعيون: 2/162.
(2) الماتريدي، تأويلات أهل السنّة: 5/163.

سرُّ إيثارِ لفظِ (الأولياءِ) على الأتباعِ:

الأولـيـاءُ أخطرُ مـنَ الأتـبـاعِ؛ لأنَّـهـم دعـاةُ الـضَّـلالِ ظاهرًا وباطنًا

استعملتِ الآيةُ لفظَ الأولياءِ في قولِه تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾، وهمْ بمعنى المناصرينَ والمظاهرينَ في هذا الموضعِ[1]، وهو أنسبُ من لفظِ الأتباعِ الذين نصرتُهم غيرُ متحقّقةٍ، فدلَّ لفظُ الأولياءِ على المتابعةِ والمناصرةِ والمحبَّةِ، فالأولياءُ أخطرُ منَ الأتباعِ؛ لأنَّهم دعاةُ الضَّلالِ، فوجب الحذرُ منهم، والحيطةُ منَ الاستماعِ إليهم.

نوعُ اللَّامِ في قولِه تعالَى: ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾:

الـلّامُ تعليليّةٌ؛ أيْ: لأجـلِ أنْ يجادلوكمْ

اللّامُ في قولِه تعالى: ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ دالّةٌ على التّعليلِ، أيْ: لأجلِ أنْ يجادلوكمْ بإيحاءٍ منَ الشّيطانِ في أنَّ ذبحَكمْ حلالٌ وذبحَ اللّهِ حرامٌ؛ إقناعًا منهمْ بأنّكمْ أحسنُ منَ اللّهِ[2] تعالى اللّهُ عمّا يقولون علوًّا كبيرًا.

نُكتةُ استعمالِ (المجادَلةِ) في قولِه تعالَى: ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾:

منازعةٌ بالقولِ غايتُها الإقناعُ بالرّأيِ إبطالًا لأحكامِ الإسلامِ

نُكتةُ استعمالِ المجادلةِ منَ الفعلِ: ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ الدّلالةُ على معنى المنازعةِ بالقولِ وغايتُها محاولةُ الإقناعِ بالرّأيِ المبطلِ لأحكامِ الإسلامِ والتّرغيبِ في شعائرِ الكفرِ وطقوسِ الضلالِ[3].

دلالةُ الواوِ في قولِه تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾:

في طاعتِهم تركُ الـهـدى واتّـبـاعُ الـهـوى وهـمـا مُـوصِـلانِ إلى الشِّركِ

الواوُ في قولِه تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ عاطفةٌ، فإنّهُ لَمّا كانَ منْ نتيجةِ طاعتِهمْ في تركِ الأكلِ ممّا ذُكرَ اسمُ اللّهِ عليهِ تركُ الهدى واتّباعُ الهوى وهما مُفضيانِ إلى الشركِ، وأنّ الإيمانَ اسمٌ لجميعِ الطّاعاتِ لذا عطفَ عليهِ هذه الجملةَ[4].

(1) ابن جرير، جامع البيان: 12/86.
(2) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 8/407، والشنقيطي، العذب النمير: 5/442.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/أ42.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 7/248.

نُكتةُ استعمالِ ﴿وَإِنْ﴾:

الانتقالُ منَ الإيمانِ إلى الإشراكِ مُتوقّفٌ على طاعةِ أولياءِ الشَّيطان

استعمالُ (إنْ) الشّرطيّةِ في قولِه تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ دالٌّ على التّعليقِ؛ تعليقِ طاعتِهمْ في تشريعِ الشّيطانِ واتّباعِه بشُبَهٍ سَقيمةٍ وآرَاءٍ عَقيمةٍ في تحليلِ الميتةِ بالتّحوّلِ إلى الإشراكِ باللّهِ تعالى، فالتّحليلُ والتحريمُ لا يكونُ إلا للحقِّ ﷻ، فهو المتفرّدُ في عبادتِه وفي حُكمِه[1]، وجيءَ بها دون (إذا) لبيانِ أنَّ صدورَ ذلك عنِ المؤمنين غيرُ متحقّقِ الوقوعِ.

دلالةُ استعمَالِ ﴿أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ دونَ (استجبتم لهم):

الإيمانُ اسمٌ لِجميعِ الطَّاعاتِ فمن تركَها فقد أطاعَ أولياءَ الشَّيطان

استعملَ النَّظمُ الفعلَ ﴿أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ دونَ الفعلِ (استجبتم لهم)؛ لأنّه مشتقٌّ منَ الطاعةِ، والإيمانُ اسمٌ متعلّقٌ بالطّاعاتِ جميعًا، فيما جعلَ الشّركَ اسمًا لكلّ ما كان مخالفا لأوامرِه تعالى، وهنا "سمَّى طاعةَ المُؤمنينَ للمشركينَ في إباحةِ المَيتَةِ شِرْكًا"[2] في قولِه: ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾، فاستعمالُ ﴿أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ أليقُ وأنسبُ؛ لأنّه في سياقِ الإيمانِ والشّركِ، ولا يناسبُه فعلُ الاستجابةِ.

غرضُ حذْفِ مُتعلّقِ فعلِ الشَّرطِ: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ الدَّالِّ عليه لفظُ الشِّركِ:

غرضُ جدالِهم الطّعنُ في الإسلامِ وهوَ مُفضٍ إلى الشِّركِ

حُذِفَ متعلّقُ فعلِ الشّرطِ في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ الدَّالِّ عليه جوابُه من معنى الشّركِ؛ لدلالةِ المقامِ عليه، والمعنى: "إِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ فِيمَا يُجَادِلُونَكُمْ فِيهِ، وهو الطَّعْنُ فِي الإِسْلَامِ، وَالشَّكُّ فِي صِحَّةِ أَحْكَامِهِ"[3]، فالأكلُ ممّا لمْ يذكرِ اسمُ اللّهِ عليهِ شركٌ بدلالةِ الجوابِ؛ حيث عدَلوا عن أمرِ اللّهِ لكم وشرعِه إلى قولِ غيرِه فقدَّموا في هذه الحالةِ عليه غيرَه،

(1) الشنقيطي، العذب النمير: 3/28.
(2) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 13/132.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/أ42.

فهذا هو الشّرك، كقوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 31].

بلاغةُ التّوكيدِ في جملةِ ﴿إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾:

تخطئةُ أحكامِ الإسلامِ مساويةٌ للشّركِ وخروجٌ عنِ الإيمانِ

جوابُ الشّرطِ في قولِه تعالى: ﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾ مشتملٌ على التّوكيدِ، وفيهِ تحقيقُ لُحوقِهمْ بالمشركينَ حالَ طَاعَتِهِمُ الشّياطينَ؛ فإنَّ رميَ أحكامِ الإسلامِ بالخطأِ تعادلُ الشّركَ وإنْ لمْ يُشركوا في عبادتِه فلذلكَ احتيجَ إلى التَّوكِيدِ[1].

دلالةُ اسمِ الفاعلِ على الاستقبالِ في جملةِ ﴿إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾:

استدراجُ الشّياطينِ بالمجادلةِ مآلهُ صيرورتُكم إلى الشّركِ

اسمُ الفاعلِ (مشركون) في الجملة دالّ على الاستقبالِ، أيْ: إنّكمْ صائرونَ إلى الشركِ، والمعنى أنَّ الشياطينَ تستدرجُكُمْ عنْ طريقِ المجادلةِ حتّى تتّبعوهمْ حذوَ القُذّةِ بالقُذّةِ، فيبلغوا بكمْ إلى الشّركِ[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الجِدال والمِراء:

الجدالُ هو العودةُ عنِ المذهبِ والشّرعِ، والمِراءُ مخاصمةٌ في الحقِّ بعدَ ظهورِه

وصِفَ المراءُ بأنّهُ مذمومٌ لأنّهُ مخاصمةٌ في الحقِّ بعدَ بيانِه وظهورِه، أمّا الجدالُ، فهو إرجاع الخصم عن رأيه أو مذهبه، ويرجعُ أصلُهُ إلى الجَدْلِ، وهو شدّةُ الفتلِ، ومنهُ الطائرُ الأجدلُ لشدّةِ قوتِه منْ بينِ الجوارحِ[3]، فالمجادلةُ في الآيةِ منَ المشركينَ للمؤمنينَ بغيرِ حجّةٍ ولا برهانٍ، وهي ليستْ مخاصمةً في الحقِّ بعدَ ظهورِه، بلْ هي في محاولةِ التّخليطِ والتّمويهِ على المسلمينَ في أمرٍ مقرّرٍ، ومحاولةِ العودةِ عن المذهبِ والشرعِ وهو التّفريقُ بينَ الميتةِ والمذكّاةِ؛ فالجدالُ المُؤذِنُ بالقوّةِ والشدّةِ أليقُ بهذا المقامِ ولاسيّما أنَّ صُدورَهُ كائنٌ منَ الشّياطينِ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/أ42.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/أ42.
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 158.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي عشر، سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 11 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-63-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 11 : سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-63-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9795022 بتاريخ 2023/12/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»